

85

قصص

الأنبياء

محمّد

صلى الله عليه وسلم (29)

غزوة بني قريظة

بإسلام : أ. عبد الحميد عبد القادر
رسوم : أ. عبد القادر سيّد
إشراف : أ. حمدى مصطفى





انصرف الأحزابُ عن المدينة مهزومين ، بعد أن
ألقى الله - تعالى - الرعب في قلوبهم ، وأرسل
عليهم ريحا عاصفة شديدة البرد ، اقتلعت خيامهم ،
وقلبت قدورهم ، وفرقت جمعهم ..

وانصرف الرسول ﷺ وأصحابه عائدين إلى دورهم
بالمدينة ، فرحين بذلك النصر ، الذي كتبه الله على

أَعْدَائِهِمْ ، فَوَضَعُوا أَسْلِحَتَهُمْ ، وَاسْتَعَدُّوا
لِمُمَارَسَةِ شُؤْنِ حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ ..

وَعِنْدَ الظُّهْرِ جَاءَ (جَبْرِيلُ) ﷺ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ رَاكِبًا بَغْلَةً ، وَقَدْ تَلَفَحَ بَعِمَامَةً مِنْ
دِيبَاجٍ (حَرِيرٍ) ، فَقَالَ مُخَاطِبًا النَّبِيَّ ﷺ :

« أَوْ قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » ..

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :

« نَعَمْ » ..

فَقَالَ (جَبْرِيلُ) ﷺ : أَوَمَ أَطْلَعْتَ ؟

« فَمَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةُ السَّلَاحَ بَعْدُ ، وَمَا رَجَعْتَ

الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ .. إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَأْمُرُكَ

يَا مُحَمَّدٌ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَإِنِّي عَامِدٌ

إِلَيْهِمْ فَمُرُّوهُمْ » ..

وَانْطَلَقَ (جَبْرِيلُ) ﷺ إِلَى حُصُونِ يَهُودَ (بَنِي قُرَيْظَةَ)

لِيُوقِعَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَيُزَلِّزَ الْأَرْضَ بِهِمْ ..
أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ أَمَرَ مُؤَدِّنَا أَنْ يُؤَذِّنَ فِي
النَّاسِ ، قَائِلًا :

« مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا
بَنِي قُرَيْظَةَ » ..

وَسَارَعَ الصَّحَابَةُ فِي الْحَالِ بِتَلْبِيَةِ نِدَاءِ الرَّسُولِ ﷺ ،
فَتَوَافَدُوا عَلَيْهِ حَامِلِينَ أَسْلِحَتَهُمْ ، وَمُسْتَعِدِّينَ لِلسَّيْرِ
إِلَى حُصُونِ (بَنِي قُرَيْظَةَ) الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، وَتَحَالَفُوا مَعَ أَعْدَائِهِ فِي أَثْنَاءِ حِصَارِهِمْ
لِلْمَدِينَةِ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ..

وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْيَهُ لـ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَارَ بِهَا إِلَى (بَنِي قُرَيْظَةَ) وَسَارَ الْجَيْشُ
يَتَّبِعُهُ إِلَى هُنَاكَ ، حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْحُصُونِ ، فَسَمِعَ
(عَلِيٌّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْيَهُودَ يَشْتُمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،

فَرَجَعَ وَقَابَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ لَهُ :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَدْنُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَحَابِثِ ..

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

— « لِمَ ؟ ! أَذُنُكَ سَمِعَتْ مِنْهُمْ لِي أَدَى ؟ » ..

فَقَالَ (عَلِيٌّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

— نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

— « لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا » ..



وَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُصُونِهِمْ ، فَخَاطَبَهُمْ قَائِلًا :

« يَا إِخْوَانُ الْقِرْدَةِ ، هَلْ أَخْزَاكُمْ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ

نَقْمَتَهُ ۱۲ »

فَاطْلُؤْا مِنْ حُصُونِهِمْ ، وَقَالَ كَبِيرُهُمْ (كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ) :

« يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مَا كُنْتُ جَهُولًا ..

وَعَسْكَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ بَيْتٍ مِنْ أَبَارِ (بَنِي

قُرَيْظَةَ) وَعَسْكَرُ الْجَيْشِ حَوْلَ الْحُصُونِ ،

مُحَاصِرِينَ إِيَّاهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى قَذَفَ

اللَّهُ - تَعَالَى - فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَهَدَمَهُمُ الْحِصَارُ ،

وَلَمْ يَجْرَأُوا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ حُصُونِهِمْ لِقِتَالِ

الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمَّا تَأَكَّدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَنْ

يَنْصَرِفَ عَنْهُمْ بِجُنْدِهِ ، حَتَّى يُقَاتِلَهُمْ ، قَالَ لَهُمْ

كَبِيرُهُمْ (كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ) :

« يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ ، وَإِنِّي

سَاعِرُضٌ عَلَيْكُمْ أُمُورًا ثَلَاثَةً ، فَاخْتَارُوا وَاحِدًا مِنْهَا ..

فَقَالُوا لَهُ :

- وَمَا هِيَ ؟ !

فَقَالَ (كَعْب) :

- تَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ ، وَقَدْ
بَشَّرَتْ بِهِ التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلْتُ عَلَى مُوسَى ، وَلِذَلِكَ
فَأَنَا أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعَهُ وَتُصَدِّقَهُ ، فَنَأْمَنَ عَلَى
دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا ..

فَقَالُوا لَهُ فِي عِنَادٍ :

- لَا نَفَارِقُ دِينَ آبَائِنَا وَنَتَّبِعُ دِينَ مُحَمَّدٍ ..

فَقَالَ لَهُمْ (كَعْب) :

- إِذَنْ نَقْتُلُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَحْمِلُ سَيُوفَنَا
وَنَخْرُجُ لِقِتَالِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَإِنْ نَهَلَكْ نَهَلَكْ
وَلَيْسَ وَرَاءَنَا مَا نَخَافُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَنْتَصِرَ يَكُونُ لَنَا
نِسَاءٌ وَأَبْنَاءٌ غَيْرُهُمْ ..

فَقَالُوا لَهُ فِي تَعَجُّبٍ :

- كَيْفَ نَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ ، وَمَا فَايِدَةُ الْعَيْشِ

بَعْدَهُمْ ۱۹

فَقَالَ لَهُمْ (كَعَب) :

- هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَمُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ

يَعْلَمُونَ أَنَّنَا نَسْتَرِيحُ يَوْمَ السَّبْتِ وَلَا نَعْمَلُ فِيهِ أَبَدًا ،

وَلِذَلِكَ فَهُمْ يَأْمَنُونَ خُرُوجَنَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ ،

تَعَالَوْا نَحْمِلْ سِلَاحَنَا وَنُفَاجِئْ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ ،

وَنَأْخُذَهُمْ عَلَى حِينِ غَرَّةٍ ، فَلَعَلَّنَا نَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ ..

فَقَالُوا لَهُ بِاسْتَهْزَاءٍ :

- تُرِيدُ أَنْ تَفْسِدَ عَلَيْنَا سَبْتَنَا ، حَتَّى يَمْسُخَنَا اللَّهُ

قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، كَمَا مَسَخَ أَجْدَادُنَا ۱۹ وَاللَّهِ

لَا نَطِيعُكَ أَبَدًا ..

وَأَرْسَلَ يَهُودُ (بَنِي قُرَيْظَةَ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ لَهُمْ أَحَدَ صَحَابَتِهِ ، وَهُوَ

الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ (أَبُو لُبَابَةَ) مِنَ الْأَوْسِ ، لِيَسْتَشِيرُوهُ فِي
أَمْرِهِمْ ، وَكَانَ الْأَوْسُ حُلَفَاءَ لـ (بَنِي قُرَيْظَةَ) فَأَرْسَلَهُ لَهُمْ ..
وَلَمَّا دَخَلَ (أَبُو لُبَابَةَ) إِلَى حُصُونِهِمْ اسْتَقْبَلَتْهُ النِّسَاءُ
وَالْأَبْنَاءُ بِالْعَوِيلِ وَالْبُكَاءِ ، وَقَالَ لَهُ الرِّجَالُ :

— هَلْ تَنْصَحُنَا أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ
مُحَمَّدٍ ؟

فَقَالَ (أَبُو لُبَابَةَ) :

— نَعَمْ .



وأشار بيده إلى رقبته راسماً علامة الذبح ، وقال :
- إِنَّهُ الذَّبْحُ (أَيُّ أَنْ مُحَمَّدًا قَدْ حَكَمَ عَلَيْكُمْ بِالْقَتْلِ
تَنْفِيذًا لِحُكْمِ اللَّهِ فِيكُمْ) ..

وما إن قال (أَبُو لُبَابَةَ) حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ، لِأَنَّهُ أَفْشَى سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. ثُمَّ
انْطَلَقَ (أَبُو لُبَابَةَ) يَجْرِي هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَدْ
ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَلَمْ يَتَوَجَّهْ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، بَلْ تَوَجَّهْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَرَبَطَ نَفْسَهُ إِلَى
عَمُودٍ مِنْ أَعْمَدَتِهِ ، وَقَالَ :

- وَاللَّهِ لَا أَغَادِرُ مَكَانِي هَذَا ، حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ
مِمَّا صَنَعْتُ ، وَأُعَاهِدُ اللَّهَ الْأَطَا (بَنَى قُرَيْظَةَ) أَبَدًا ،
وَلَا أَظْهَرَ فِي مَكَانٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا ..
وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا فَعَلَهُ (أَبُو لُبَابَةَ) ،
قَالَ :

- «أَمَّا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ ، فَأَمَّا إِذَا

ما قد فعل ، فما أنا بالذى يطلقه من مكانه ،
حتى يتوب الله عليه ..

وقد نزلت توبة (أبي ثابة) على رسول الله ﷺ
بعد ست ليال ظل خلالها مقيدا إلى جذع
المسجد ، لا يبرحه إلا في وقت الصلاة ، فإذا
انتهى من صلاته قيدته زوجته مرة أخرى ، حتى
نزلت توبته ، فأطلقه رسول الله ﷺ بنفسه ..

ولما أصبح الصباح في تلك الليلة التي ذهب
(أبو ثابة) فيها إلى (بنى قريظة) ، نزل (بنو
قريظة) على حكم رسول الله ﷺ ، فحاء الأوس
إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له :

- يا رسول الله إن (بنى قريظة) كانوا حلفاءنا
وموالينا فهبهم لنا ..

فقال رسول الله ﷺ :

- « ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم
رحل مكم ؟ » ..

فَقَالَ الْأَوْسُ :

- رَضِيَا يَا رَسُولَ اللَّهِ :

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- هَذَا فَدَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ..

وَكَانَ (سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدَ الْأَوْسِ ، وَكَانَ
قَدْ أَصِيبَ فِي عَزْوَةِ الْحَنْدَقِ بِسَهْمٍ رَمَاهُ بِهِ أَحَدُ
الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ مَارًا لَمُتَأَثِّرًا بِجُرْحِهِ .. فَلَمَّا
حَكَّمَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي (بَنِي قُرَيْظَةَ) حَمَلَهُ قَوْمُهُ ،
حَتَّى وَصَلُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ :
- يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَحْسَنَ فِي مَوَالِكَ ، فَإِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا وَلَاكَ ذَلِكَ لَتُحَسِّنَ فِيهِمْ ..

فَلَمَّا كَرَّرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْقَوْلَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، قَالَ
(سَعْدُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لَقَدْ آتَى لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ..

فَلَمَّا وَصَلُوا بـ (سَعْدٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
قَالَ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ :

— إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ
فِيهِمْ ..

فَقَالَ (سَعْدٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
— عَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنَّكُمْ سَتَرْضَوْنَ بِحُكْمِي
فِيهِمْ “

فَقَالَ لَهُ الصَّحَابَةُ :



- نعم ..

وقال رسول الله ﷺ :

- نعم ..

فقال - سعد - رضي الله عنه :

- فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، وتقسّم
الأموال ، وتسبى الذراري والنساء ..

(أى تؤخذ النساء والأبناء عبيدا وجوار للمسلمين) ..

فلما سمع رسول الله ﷺ حكم (سعد بن معاذ)
فى (بنى قريظة) ، قال له :

- « لقد حكمت فيهم بحكم الله من سبعة أرفعة » ..

أى من فوق سبع سموات ..

ثم أنزل المسلمون يهود (بنى قريظة) من
حصونهم ، وبدأ تنفيذ حكم الله - تعالى - وحكم

(سعد بن معاذ) فيهم ..

وَكَانَ عَدُوُّ اللَّهِ (حَبِيبُ بْنُ أَخْطَبَ) - الَّذِي حَرَّضَ
قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ
الْخَتْدَقِ ، وَحَرَّضَ (بَنِي قُرَيْظَةَ) عَلَى نَقْضِ عَهْدِهِمْ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - كَانَ مَعَ (بَنِي قُرَيْظَةَ) فِي
حُصُونِهِمْ ، فَلَمَّا أَحْضَرَهُ الْمُسْلِمُونَ لِيَقْتُلُوهُ نَظَرَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ :

- وَاللَّهِ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ ، وَلَكِنْ مَنْ
يَخْذُلُ اللَّهَ يَخْذُلْهُ اللَّهُ ..

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الصَّحَابَةِ ، وَقَالَ :



— إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمُلْحَمَةٌ

كُتِبَها اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ..

ثُمَّ ضَرَبَ الْمُسْلِمُونَ عُنُقَ عَدُوِّ اللَّهِ (حَيُّ بْنُ

أَخْطَبَ) عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ ، وَذَهَبَ إِلَى الْجَحِيمِ ..

وَاسْتَرَاخَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ كَيْدِ يَهُودِ

(بَنِي قُرَيْظَةَ) وَمَكْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ ..

وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

عَلَى الْمُسْلِمِينَ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإصدار : ٢٠٠٤ / ١١٢٠

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٣٩٨ - ٠٢٩ - ٠٠١

فصل الأنبياء • الكتاب التالي •

محمد (صلى الله عليه وسلم)

غزوة بني المصطلق (٢٠)

• احرص على اقتنائه •